

ملاح من الدلالة الصوتية والصرفية عند ابن الأثير

تاريخ استلام المقال: 2016/01/19

تاريخ قبول المقال للنشر: 2017/05/18

الأستاذة : نصيرة شيادي

جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان .

البريد الإلكتروني: nacera83@hotmail.frالملخص :

الأمّة العربيّة من أبرز الأمم التي أسهمت في إثراء الفكر اللغويّ. ونحن لا نتجاوز الحقيقة حين نؤكد أن لعلماء العربية إسهامات واضحة في علم المعنى، فقد وضعوا أصولاً، وأسّوا مفاهيم انبثقت من تصوّراتهم للغة. وهذه الأصول والمفاهيم تُشبه إلى حد كبير مفاهيم علم الدلالة المعاصر وتصوراته؛ فقد أبانوا وابن الأثير واحد منهم أنّ الدافع الذي حمل العرب على الرّبط بين اللفظ ومدلوله هو اعتزازهم بألفاظ العربيّة وحرصهم على الكشف عن أسرارها وخباياها. وهذا البحث محاولة تُظهر موقف ابن الأثير من قضية اللفظ والمعنى وتبرز جهوده وآراءه في مجال الدلالات الصوتية والصرفية.

الكلمات المفتاحية : الدلالة، الصوتية، الصرفية، ابن الأثير، اللفظ، المعنى .

Résumé :

La nation arabe et l'une des plus en vue de nations qui ont contribué à l'enrichissement de la pensée langagière, or nous n'allons pas au-delà de la vérité, lorsque nous soulignons que les scientifiques arabes ont des actions claires en sémiologie.

Ils ont placé des originalités conceptuelles qui se sont élargies à travers leur image sur la langue. Ces originalités et ces concepts ont plus de ressemblance avec les concepts et les images du fonctionnisme contemporain. Ibn- Al-Atheer est l'un des arabes qui ont par fierté, fait le lien entre le phonème et sa fonction, du fait de leur préoccupation à découvrir tous les secrets du phonème arabe.

Ce travail de recherche est une tentative qui montre la position de Ibn-Al – Atheer sur la question du concept et du sens, il met en évidence ses efforts et ses avis dans le domaine de la double fonction du phonème et du monème.

Mots-clés: fonction, phonétique, conjugaison, Ibn-Al-Atheer, phonème, sens.

مقدمة :

إنّ الدّرس الدّلالي عند العرب قديم بقدم الأمّة البشريّة بل تُعدُّ جذوره ضاربةً في أعماق التّراث العربي

ويرجعُ اهتمامُ العرب بالبحث الدلالي خدمة للقرآن الكريم للوقوف على معانيه وفهمه والبحث في دلالاته .

وقد برز أعلام أفذاذ في مجال البحث الدّلالي أمثال : ابن جني (ت 392 هـ) وابن فارس (ت 395 هـ)

وابن سينا (ت 428 هـ) والجرجاني (ت 471 هـ) والفخر الرازي (ت 604 هـ) وابن الأثير (ت 637 هـ) هذا الأخير الذي خصّصَ جزءاً من كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر * للدلالة اللفظية والمعنى

والعلاقة بينهما حيث إنّ العلاقة بين هذين الأخيرين موضوع قديم وعريق تناولها علماء العربية منذ زمنٍ بعيدٍ نظراً لما فيها من أهميّة ؛ ذلك أنّ علاقة اللفظ بالمعنى تمتدّ إلى أعماقٍ بعيدةٍ تنتظم النشاطات البشريّة في المجال اللغوي من كلام، وإبداع، ونظم . فكيف اعتبر ابن الأثير اللفظ والمعنى ؟ وكيف عالج العلاقة بين الدّلالة والصّوت وبين الدّلالة والصّرف ؟ وما هي القيود التي وضعها لدينك الدلالتين الصّوتيّة والصّرفيّة ؟ ذلك ما سنُحاولُ الإجابة عنه من خلال العناصر التالية : ملامح الدّلالة الصّوتيّة مجسّدة في نظامِ التقاليب (الاشتقاق الكبير) والدّلالة الصّرفيّة . تناول ابن الأثير أهميّة اللفظ وأثره في حصول الدلالة فأشارَ إلى دلالة الألفاظ باعتبار أنّ معانيها مسبوكة وبيّن في كتابه المثل السائر موقع اللفظ من النظم وأهميّة هذا الأخير في تقويم الأدلة فيقول : « بل أريدُ أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريباً، يظن السامع أنها غير

*. جمع ابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر كل ما يتعلق بفنّ الكتابة فأحدث حركة علمية اشتغلت فيها العقول و تشابكت الأقلام . و كتاب المثل السائر عبارة عن مجلدين . يحوي المجلد الأول خطبة المؤلّف و المقدمة التي تشتمل على أصول علم البيان . ليقسّمه بعد ذلك إلى عشرة فصول مختلفة بين الحقيقة و المجاز و الفصاحة . ليخلص في الفصل العاشر إلى طريقة تعلم الكتابة فيقسم هذا الفصل إلى مقالتين : الأولى منهما في الصناعة اللفظية، و الثانية في الصناعة المعنوية . أما المجلد الثاني فهو تتمّة للمجلد الأول حيث يُورد فيه النوع الرابع من الصناعة المعنوية إلى النوع الثلاثين . و هي أنواع تختلف فيما بينها من حيث المضمون (تأكيد الضميرين في الحروف العاطفة و الجارة، في قوة اللفظ لقوة المعنى الاشتقاق ...)

ما في أيدي الناس وهي ممّا في أيدي الناس»¹ ويقصدُ بالسّبك الغريب هنا السّبك الواضح الدلالة الذي يتضمّن الإيجاز دون الإطناب .

وابن الأثير لا يُهمّل المعاني حينما يؤكد على الألفاظ، بل يريد دلالتها واضحة متكاملة فيقول : « ومع هذا فلا تظن أيها الناظر في كتابي أنني أردت بهذا القول إهمال جانب المعاني، بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحه، ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه، فإنه إذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسنها إلا أنّ صاحبها بليد أبله والمراد أن تكون هذه الألفاظ المشار إليها جسما لمعنى شريف.»²

ويُشير ابن الأثير مرة أخرى إلى المعنى الدلالي بمنظور يُقابل المنظور السابق، فيقول عند حديثه عن الإيجاز : « والتّظر فيه إنّما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ، ولستُ أعني بذلك أن تُهمّل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة، بل أعني أنّ مدار النظر في هذا النوع، إنّما يختص بالمعاني، فربّ لفظٍ قليل يدلّ على معنى كثير وربّ لفظٍ كثير يدلّ على معنى قليل.»³

وفي هذه البحوث جميعها نجده « يبحث تفصيلات واسعة المداليل، ولكنه لا ينسى نظريته في دلالة الألفاظ أو المعنى الدلالي عند التراكيب»⁴ فيقول : « واعلم أنّ تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها ؛ لأنّ التّركيب أعسر وأشقّ . ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم، ويعلو عليه، وليس ذلك إلاّ لفضيلة التركيب»⁵

لقد بين ابن الأثير أنّ العرب كما كانت تعني بالألفاظ وتُهدبها فإنّ المعنى أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا في نفوسها . فأوّل ذلك عنايتها بألفاظها لأنها كانت عنوان معانيها وطريقها

¹ . المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر : أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، دط، 1358 هـ، 1939 م، 1 / 73 .

² . المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر 1 / 73-74 .

³ . المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر 2 / 71-72 .

⁴ . تطور البحث الدلالي . دراسة تطبيقية في القرآن الكريم . محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ 1999 م، ص 40 .

⁵ . المثل السائر 1 / 145 .

إلى إظهار أغراضها أصلحوها، وزَيَّنوها، وبالغوا في تحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في النفس، وأذهب في الدلالة على القصد.¹

ويُقرُّ أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة نفس الحقيقة التي توصل لها ابن الأثير من قبل وهي الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهمها من خلال فهم المعنى، ويلعب المعنى دورا كبيرا في تطبيقات كثيرة لعلم اللغة مثل طرق الاتصال وتعليم اللغة ودراسة اكتساب اللغة.²

وبالتالي فعلم الدلالة هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في اللفظ أو الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى؛ وهكذا يظهر أنهما يعنيان بالجانب التطبيقي في لغة التواصل ويأخذان بالاعتبار أنّ للمبنى والمعنى في النشاط اللغوي أبعاد ثلاثة: هي الصوت، وبنية اللفظ، وأخيرا اللفظة أو الكلمة المفردة التي يكون لها مدلول كائن في الذهن يعبر عن موجود في العالم حولنا. وهذه العناصر الثلاثة للكلمة في النشاط اللغوي: الصوت والمعنى والمدلول عليه تشكل المفهوم الذي يُحقق التواصل في اللغة الإنسانية.³

ونظرا لأهمية المعنى أصبح هذا العلم بعد أن كان فرعاً من فروع فقه اللغة علما مستقلا يُعرف باسم

(علم معاني الألفاظ) أو علم الدلالة sémantique⁴ الذي ينتظم أنواعا كثيرة من الدلالات⁵ حيث لا يُمكن فصل علم الدلالة عن غيره من فروع اللغة؛ فكما تستعين علوم اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها يحتاج علم الدلالة هو الآخر إلى الاستعانة بهذه العلوم؛ فلكي يتوصل الإنسان لمعنى الحدث الكلامي لابد أن يقوم بملاحظة تشمل جوانب كثيرة من بينها الجانبين الصوتي والصرفي.

¹ . المثل السائر 1 / 352 .

² . ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، دط، دت، ص 5 .

³ . مباحث في علم الدلالة و المصطلح : حامد صادق قنبي، دار ابن الجوزي، الأردن عمان، ط 1 1425 هـ، 2005 م، ص 9 .

⁴ . نحو وعي لغوي : مازن المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، 1399 هـ، 1979 م، ص 108 .

⁵ . لمزيد من التفصيل عن أنواع الدلالات عند القدماء و المحدثين ينظر : مصطلحات الدلالة العربية . دراسة في ضوء علم اللغة الحديث . جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1 1428 هـ، 2007 م، ص 128.91 .

1. الدلالة الصوتية :

هي التي تُستمدّ من طبيعة بعض الأصوات،¹ وتحدّث العلماء عن الدلالة الصوتية وأثرها في وضوح المعنى لأنّ نُطق الأصوات نُطقاً صحيحاً يُساعد على معرفة المعنى بينما عدم وضوح النطق يؤدي إلى الإبهام في تحديد المعنى . كما أنّ لإيحاء الأصوات أثراً في تعميق المعنى في النفس وتصويره . وهذه النظرية لم تغب عن ابن الأثير فقد ربط بين إيقاع اللفظ ومدلوله وصوره الإيحائية ؛ ولأجل هذا استشهد بألفاظ لأبي تمام (ت 231هـ) والبحري (ت 284هـ) وعدّه عند الأوّل بمثابة المحاريين الأشداء الذين جمعوا أسلحتهم وأعدّوا العدة لمواجهة العدو أما عند الثاني فهي بمثابة نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف وألوان من الحلي نظرا للطافة ألفاظه ورقتها.²

ومن أشكال الدلالة الصوتية عند ابن الأثير:

الاشتقاق الكبير (نظام التقاليب)

وهو عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية ترجع تقاليبها الستة وما يتصرف من كل منها إلى مدلول واحد مهما يتغاير ترتيبها الصوتي.³ وهذه الحقيقة كان ابن جني قد أقرّها سابقا حيث أوجد طائفة من الروابط بين الأصوات وعقد لها بابا في الخصائص وأطلق عليها اسم الاشتقاق الأكبر .⁴

وهذه الفكرة لم تفت ابن الأثير يقول: « وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلا من الأصول فتعقد عليه

وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها . »⁵ ويقول الرازي بهذا الشأن : « واعلم أنّ أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ هو طريقة الاشتقاق . »⁶

ويضرب لنا ابن الأثير مثالا في هذا الصدد قائلا : إنّ لفظة (ق م ر) من الثلاثي لها ستة تراكيب وهي ق م ر ، ق م ر ، ر م ق ، م ق ر ، م ر ق ، ر ق م . فهذه التراكيب الستة

¹ . دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2004 م، ص 35

² . المثل السائر 1 / 178 .

³ . دراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1379هـ 1960 م، ص 186 .

⁴ . الخصائص : أبي الفتح عثمان بن الجني، تحقيق : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط، دت 2 / 134 .

⁵ . المثل السائر 2 / 339 . 340 .

⁶ . التفسير الكبير : محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1401هـ، 1981 م، 1 / 21 .

يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة . فالقَرْمُ شدة شهوة اللحم، وقَمَر الرجل إذا غلب من يُقَامِرُهُ، والَرَقَمُ الدَّاهية وهي الشدة التي تلحق الإنسان من دهره . وعيش مَرْمَق أي ضيق وذلك نوع من الشدة أيضا، والمقر شبه الصبر. يقال : أمقر الشيء إذا أمر وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة . ومَرَق السَّهم إذا نفذ من الرمية وذلك لشدة مضائه وقوته .¹

ويضيف ابن الأثير قائلا : « واعلم أنه إذا سقط من تراكيب الكلمة شيء فجائز ذلك في الاشتقاق ؛ لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الجملة ؛ بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت إلى معنى واحد يجمعها . فمثال ما سقط من تركيب الثلاثي لفظة (و س ق) فإن لها خمسة تراكيب وهي : و س ق ، و ق س ، س و ق ، ق س و ، ق و س . وسقط من جملة التراكيب قسم واحد وهو : س ق و . وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا . فالوَسَقُ من قولهم : استوسق الأمر أي : اجتمع وقوي، والوَقَسُ ابتداء الحرب وفي ذلك شدة على من يصيبه وبلاء . والسَّقُ مُتَابَعَةُ السَّير وفي هذا عناء وشدة على السائق والمسوق . والقسوة : شدة القلب وغلظه . والقوس معروفة وفيها نوع من الشدة والقوة لنزعها السهم وإخراجه إلى ذلك المرمى المتباعد .²

ويختتم ابن الأثير قوله هذا بقوله : « إن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التقليل وهي مع ذلك دالة على معنى واحد، وأن هذا من أعجب الأسرار التي توجد في لغة العرب وأغربها »³

2. الدلالة الصرفية :

لبنية الكلمة أهمية في تحديد معناها فعن طريق البنية وصيغتها المختلفة تبرز المعاني وتحدد، وأي تحول في الصيغة يؤدي حتما إلى تغير في محتوى الدلالة .⁴ والدلالة الصرفية تقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية وأبنيتها من معانٍ . والدَّرسُ الصَّرْفِيُّ في العربية مقدمة للدرس النحوي وهما متلازمان لا ينفصلان ؛ لأنَّ الصَّرفَ باهتمامه ببنية الكلمة إنما هو من أجل توظيفها في تركيب نحوي و على حدّ تعبير ابن جني : « فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، و النحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت قَامَ بَكَرٌ، ورَأَيْتُ بَكَرًا، ومَرَرْتُ بِبَكَرٍ، فإنك

¹ . المثل السائر 2 / 340 .

² . المثل السائر 2 / 340 .

³ . المثل السائر 2 / 340 . 341 .

⁴ . علم الصرف الصوتي : عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة، عمان، الأردن، دط، 1998 م، ص 152 .

إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة ؟ وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف ؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة»¹

وهذه الدلالة نجدها عند ابن جني باسم الدلالة الصناعية ويقصد بها دلالة البناء أو الصيغة الصرفية على معنى ؛ وذلك بقوله : « ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه »² أي دلالة قام بلفظه أي بحروفه أو فونيماته دلالة وظيفية مطردة على القيام أو الحدث . وصياغته على هذا الوزن أو البناء تدلّ على أنّ القيام قد حدث في الزمن الماضي .

وتأتي الدلالة الصناعية من حيث القوة في المرتبة الثانية يقول ابن جني : « فأقواهنّ الدلالة اللفظية »³ ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية »⁴ وتستمدّ قوتها من الدلالة اللفظية من قبل أنّها إطار للفظ أو بالأحرى القلب الذي تصبّ فيه الألفاظ، وتُبنى على صورته ومنواله . يقول ابن جني : « الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل إنّها وإن لم تكن لفظاً فإنّها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتمد بها . فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة »⁵

لقد تعرّض ابن الأثير لهذا النوع من الدلالة في النوع الثاني عشرة من أنواع الفصاحة والبلاغة لديه فأسماه « قوّة اللفظ لقوة المعنى »⁶ فقال : « هذا النوع قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب

الخصائص .. »⁷ ثم أنشأ يعرض لعدد من القضايا المهمة المتعلقة بهذا الباب . فتعرّض لدراسة العلاقة بين المبنى والمعنى فوضع لها من الضوابط والقواعد ما ينمُّ عن سعة أفقه في هذا الباب

¹ . المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي تحقيق : إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين إدارة إحياء التراث القديم، الإسكندرية، ط 1، 1373هـ، 1954 م، ص 4 .

² . الخصائص 3 / 98 .

³ . المقصود بالدلالة اللفظية : الدلالة الصوتية، و تؤدي هذه الأخيرة وظيفتها في الإفهام عادة من خلال نظام صوتي يقوم على ثلاثة أمور هي : الفونيم، النبر، و التنغيم . ينظر : مجلة التراث العربي مقال بعنوان . الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية و المعاصرة . عبد الفتاح المصري، العددان 15 رجب 1404 هـ، 16 شوال 1404 هـ، ص 263 .

⁴ . الخصائص 3 / 98 .

⁵ . الخصائص 3 / 98 .

⁶ . ينظر : المثل السائر 2 / 60 .

⁷ . ينظر : المثل السائر 2 / 60 .

وعُمق دراسته .¹ فهو يرى أنّ نقل اللفظ والعدول به من صيغةٍ إلى صيغةٍ أخرى أكثرَ حروفاً من الأولى لا بدّ أن يتضمّن من المعنى أكثر مما تضمّنه أوّلاً . ويرى أنّ هذه الطريقة لا تُستعمل إلا في مقام المبالغة فيقول : « اعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بدّ من أن يتضمّن من المعنى أكثر مما تضمّنه أوّلاً ؛ لأنّ الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها . فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا لا نزاع فيه لبيانه . وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة »² ومن هنا نشأت الفكرة التي تقول إنّ « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى »³

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن الأثير على ذلك قوله : « فمن ذلك قولهم خشنَ واخشوشن فمعنى (خشن) دون معنى (اخشوشن) لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو نحو (فعل) و (افْعُوعِل) وكذلك قولهم أعشب المكان فإذا رأوا كثرة العشب قالوا : اعشوشب .⁴

ومما ينتظم بهذا السلك قدر واقتدر فمعنى (اقتدر) أقوى من معنى (قدر) . قال تعالى ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اخْذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا ﴾⁵ فمقتدر هاهنا أبلغ من قادر ؛ وإنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلّا عن قوة الغضب أو للدلالة على بسطة القدرة . فإنّ المقتدر أبلغ في البسطة من القادر وذلك أنّ مقتدرا اسم فاعل من اقتدر وقادر اسم فاعل من قدر ولا شك أنّ افتعل أبلغ من فعل »⁶

والمفسّرون بإجماع على ما ذهب إليه ابن الأثير هنا . ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾⁷ يقول ابن عاشور على سبيل المثال " والمليك : فعيل بمعنى المالك مبالغة وهو أبلغ من ملك ومقتدر أبلغ من قادر وتنكيره وتنكير مقتدر للتعظيم »⁸

¹ . الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم . دراسة نظرية تطبيقية . عبد الحميد أحمد يوسف هندواوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1423 هـ 2002 م، ص 39 .

² . المثل السائر 2 / 60 .

³ . بحوث و مقالات في اللغة : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1408 هـ، 1988 م ص 21 .

⁴ . المثل السائر 2 / 60 .

⁵ . سورة القمر الآية 42 .

⁶ . المثل السائر 2 / 60 .

⁷ . سورة القمر الآيتان 54 . 55 .

⁸ . تفسير التحرير و التنوير : محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، دط، 1984 م، 27 / 226 .

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن الأثير قوله تعالى في سورة نوح ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾¹ حيث يبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى قد عدل عن (غافر) لأنّ (غفّارا) أبلغ في المغفرة من (غافر) ولأنّ

(فعّالا) يدلّ على كثرة صدور الفعل و(فاعلا) لا يدلّ على الكثرة ثم يقول : « وعليه ورد قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾² فالتّوّاب هو الذي تتكرّر منه التوبة مرة على مرة وهو (فعّال) وذلك أبلغ من التائب الذي هو (فاعل) . فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب فهو تائب أي صدرت منه التوبة مرة واحدة فإذا قيل (توّاب) كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة »³

والحق أنّ هذا النص يكشف لنا عن تنبه ابن الأثير لعدد من الأمور المهمة :⁴

الأمر الأول : زيادة المعنى لزيادة المبنى .

الأمر الثاني : التفات ابن الأثير إلى أنّ هذه الزيادة في المعنى مقيّدة بما يعدل فيه عن صيغة إلى أخرى أكثر منها حروفا .

الأمر الثالث : وقوف ابن الأثير على الغرض البلاغي لهذا العدول ؛ وهو المبالغة التي يقتضيها المقام .

وقاعدة زيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى يضع لها ابن الأثير قيودا وأوّل هذه القيود كون اللفظ منقولاً ومعدولاً به من صيغة إلى أخرى أكثر منها يقول : « وهاهنا نكتة لا بدّ من التنبيه عليها . وذلك أنّ قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم إلّا في نقل صيغة إلى صيغة أكثر منها ؛ كنقل الثلاثي إلى الرباعي وإلّا فإذا كانت صيغة الرباعي مثلاً موضوعة لمعنى ؛ فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة . ألا ترى أنه إذا قيل في الثلاثي قتل ثم نقل إلى الرباعي ف قيل : قتل بالتشديد فإنّ الفائدة من هذا النقل هي التكثير . * أي أنّ القتل وجد منه كثيرا وهذه الصيغة

¹ . سورة نوح الآية 10 .

² . سورة البقرة الآية 222 .

³ . المثل السائر 2 / 61 .

⁴ . الإعجاز الصربي في القرآن الكريم . دراسة نظرية تطبيقية . ص 40 و ينظر : دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، خالد قاسم بني دومي عالم الكتب الحديث إريد ، الأردن ، ط 1 ، 2006 م ص 41 . 42 .

* . جاء في لسان العرب : قَتَلُوا تَقْتِيلًا بمعنى شدة للكثرة . ينظر لسان العرب : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري دار صادر ، بيروت ، ط 4 2005 م ، مادة (ق ت ل) 11 / 552

بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكرير كقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾¹ فَإِنَّ (كَلَّمَ) على وزن (فَعَّل) ولم يرد به التكرير بل أريد به أنه خاطبه سواء كان خطابه طويلا أو قصيرا قليلا أو كثيرا . وهذه اللفظة رباعية وليس لها ثلاثي نُقلت عنه إلى الرباعي ؛ لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي فكان الرباعي أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى ؛ وذلك أن تكون (كَلَّمَ) من الجرح : أي جَرَّحَ ولها ثلاثي وهو (كَلَمَ) مخففا أي جرح . فإذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة وإذا وردت مثقلة دلت على التكرير²

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾³ فَإِنَّ لفظة (رَتَّلَ) على وزن (قَتَلَ) ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة ؛ وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر . وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تُنقل عنه إلى رباعي إنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في اللفظ والمعنى إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه .⁴

والحق أن هذه التفاتة طيبة من ابن الأثير ترجع قيمتها إلى أمرين هامين :⁵

الأول : أن زيادة المبنى لا تقتضي زيادة المعنى على طلاقها ؛ بل شرط ذلك كون الصيغة منقولة من صيغة أقل إلى أخرى أكثر بناء . أمّا إن كانت الصيغة الأكثر ليست منقولة عن أخرى أقل منها كما في نحو (كَلَّمَ) بمعنى خاطب و (رَتَّلَ) بمعنى القراءة فإنهما لا تكون حينئذ موضوعة للمبالغة أو التوكيد ؛ بل مجرد إفادة معناها المعجمي .

الثاني : وهو التفات ابن الأثير إلى أن الغرض البلاغي من المبالغة والتوكيد ونحوهما لا يتأتى إلا عن طريق العدول أو الانحراف الفني القائم على التخيّر بين البدائل الصحيحة للمعنى . وهذا يدل على وعيه لمسألة التفريق بين الدلالة النمطية أو المعنى النمطي والمعنى الفني .⁶

¹ . سورة النساء الآية 164 .

² . المثل السائر 2 / 63 . 64 .

³ . سورة المزمل الآية 4 .

⁴ . المثل السائر 2 / 64 .

⁵ . الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم . دراسة نظرية تطبيقية . ص 41 .

⁶ . الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم . دراسة نظرية تطبيقية . ص 41 . 42 .

والقيد الثاني الذي وضعه ابن الأثير زيادة على ما اشترطه من ضرورة أن تكون الصيغة منقولة بـ «ن» عليه بقوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ ﴾¹ فإنّ معنى ككبوا من الكبّ وهو القلب إلاّ أنّه مكرّر المعنى ؛ وإنما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب لأنه موضع يقتضي ذلك² .
ويطبّق ابن الأثير كلامه السابق على زيادة التصغير فيخرجها من هذا الباب فيقول : « ولربّما نظر بعض الجهال في هذا فقام عليه زيادة التصغير وقال : إنّها زيادة ولكنها زيادة نقص ؛ لأنه يزداد في اللفظ حرف كقولهم في الثلاثي في رجل : رُجِل وفي الرباعي في قنديل : قُنْدِيل . فالزيادة وردت ههنا فنقصت من معنى هاتين اللفظتين »³

ويضيف قائلا : « هذا ليس من الباب الذي نحن بصدد ذكره ؛ لأنه عار من معنى الفعلية . والزيادة في الألفاظ لا توجب زيادة في المعاني إلاّ إذا تضمّنت معنى الفعلية ؛ لأنّ الأسماء التي لا معنى للفعل فيها إذا زيدت استحال معناها . ألا ترى أن لو قلنا (عَذَبَ) وهي ثلاثية إلى الرباعي فقلنا : (عَذَيْبَ) على وزن جعفر لاستحال معناها ولم يكن لها معنى . وكذلك لو نقلنا لفظة (عسجد) وهي رباعية إلى الخماسي فقلنا : (عسجدد) على وزن (جحمرش) لاستحال معناها وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية (كقادر ومقتدر) فإنّ (قادرا) اسم فاعل من (قدر) وهو ثلاثي و (مقتدرا) اسم فاعل من (اقتدر) وهو رباعي ؛ فلذلك كان معنى القدرة في (اقتدر) أشدّ من معنى القدرة في (قدر) وهذا لا نزاع فيه . »⁴
ويُستفاد من هذا النص أنّ ابن الأثير يرى :

1 . تقييد زيادة المعنى لزيادة المبنى بما كان فيه معنى الفعلية ومن ثمّ فهو يرى أنّ الأسماء التي لا معنى للفعلية فيها إذا زيدت استحال معناها .

2 . إخراج التصغير عن قاعدة زيادة المعنى لزيادة المبنى لتخلف الشرط السابق .

خاتمة :

. إنّ العرب وإن كانت تعني بالألفاظ إلاّ أنّ المعاني أقوى عندها في الدلالة على القصد .

¹ . سورة الشعراء الآية 94 .

² . المثل السائر 2 / 61 .

³ . المثل السائر 2 / 61 .

⁴ . المثل السائر 2 / 61 . 62 .

- . معنى الحدث الكلامي مرتبط بالدالتين الصوتية والصرفية .
- . إنّ الكلمة الواحدة مهما تقلّبت على ضروب من التقاليد تبقى دالة على معنى واحد وهذا من أعجب أسرار لغة العرب .
- . إنّ زيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى شريطة أن يكون اللفظ منقولاً ومعدولاً به من صيغة إلى أخرى أكثر منها وأنّ الأسماء التي لا معنى للفعالية فيها إذا زادت استحال معناها .
- . صيغة التصغير لا تدخل ضمن قاعدة زيادة المعنى لزيادة المبنى .

المصادر والمراجع :

- *. القرآن الكريم برواية ورش .
1. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم . دراسة نظرية تطبيقية . عبد الحميد أحمد يوسف هندواي المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1423 هـ، 2002 م .
 2. بحوث ومقالات في اللغة : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1408 هـ 1988 م .
 3. تطور البحث الدلالي . دراسة تطبيقية في القرآن الكريم . محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ، 1999 م .
 4. تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، دط، 1984 م .
 5. التفسير الكبير : محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 1401 هـ، 1981 م .
 6. الخصائص : أبي الفتح عثمان بن الجني، تحقيق : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط د ت .
 7. دراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1379 هـ 1960 م .
 8. دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بني دومي، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، ط 1، 2006 م .
 9. دلالة الألفاظ : إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2004 م .
 10. علم الدلالة : أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، دط، د ت .
 11. علم الصرف الصوتي : عبد القادر عبد الجليل، دار أزمّة، عمان، الأردن، دط، 1998 م .
 12. لسان العرب : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر بيروت، ط 4 2005 م .
 13. مباحث في علم الدلالة والمصطلح : حامد صادق قنيي، دار ابن الجوزي، الأردن عمان، ط 1 1425 هـ، 2005 م .
 14. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، دط
 15. مجلة التراث العربي مقال بعنوان . الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية

- والمعاصرة. عبد الفتاح المصري، العددان 15 رجب 1404 هـ، 16 شوال 1404 هـ .
- 16 . مصطلحات الدلالة العربية . دراسة في ضوء علم اللغة الحديث . جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1 1428 هـ، 2007 م .
- 17 . المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، الإسكندرية، ط 1، 1373 هـ 1954 م .
18. نحو وعي لغوي : مازن المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، 1399 هـ، 1979 م .